الإسهام الفينومينولوجي في الإبستيمولوجيا
هوسرل وباشلار

بن عبد الله حسين (*)

الملخص باللغة العربية:

تعمل هذه الدراسة على تحليل الفينومينولوجيا الهوسرلية وعلاقتها مع الإبستيمولوجيا الباشلارية، وذلك من خلال تسليط الضوء في فينومينولوجيا هوسرل على المفاهيم والأدوات التي تجعل منها دراسة إبستيمولوجية تقترب من الأطروحات التي يقدمها باشلار بصفة عامة ودراسة العلاقة بين باشلار و هوسرل بصفة خاصة .

الكلمات المفتاحية: الفينومينولوجيا، الإبستيمولوجيا، الرد، الذاتية المتعالية، السيكولوجيا ، الوضعية، العالم المعيش .

ملخص باللغة الإنجليزية:

Summary :This study is an analysis of the Husserlian phenominology and its relationship with Bachlard's epistemology, by shedding light on Husserl's phenomenology . the concepts and tools that make epistemological research close to the theories offered by Bachlard in general and the study of the relation between Bachlard and Husserl in particular.

مقدمة:

لفظ الظاهرة (Phénomène) يتكرر في مؤلفات باشلار المكرسة للعلوم و هذا ما يشير إليه "ألفون غريردر" في مقاله " غاسطون باشلار فينومينولوجي العلم المعاصر " و المترجم إلى الفرنسية من قبل " جوليان لامي" في العنصر الأول "نوعين من الظواهر

* جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان. البريد الالكتروني [houbordjarima1@gmail.com].

نوعين من الفينومينولوجيين" " يؤكد بأنه ربما يبدوا غريبا إعتبار باشلار كفينومينولوجي بالرغم من كل شيء ، هذا الأخير الذي عبر عن عدم رضاه فيما يتعلق بالفينومينولوجيا الهوسرلية ، سأسعى إلى توضيح رغم ذلك بأن هنالك معنى خصب في إعتبار باشلار فينومينولوجي العلوم Phénoménologue de science بدلا من فيلسوف العلم، وكفينومينولوجي العلم المعاصر ، و ليس لأي نوع قديم (Périmé) مهمل للعلم"(1). أسلوب باشلار ليس لديه قواسم مشتركة أبدا مع تلك الفلسفة الأنجلوسكسونية المعاصرة ذات تقليد تحليلي ، إنه لا يشتغل لمعاني الألفاظ و لكنه يظهر كراغب في الدخول في قلب المحتوى ذاته ، النشاط العلمي و ديناميكياته ومصطلحاته "في هذا المقال الحاسم غاسطون باشلار يوضح فلسفة العلم كفيمنومينولوجيا.يبدو واضحا أن الفينومينولوجيا لا يمكن أن تكون جزئ من الفيزياء نظرا لأنها تتعلق بالإنسان الذي يباشر الأعمال العلمية وأيضا الثقافة العلمية الظواهر التي تدرسها هي بالأساس النشاطات العلمية ذاتها التجريب و التنظير ’التنافس و التعاون و صراع المناهج المميزة لمسار التطور العلمي الذي يستطيع أن يشير إلى وجود إختلاط"(2).

أما في العنصر الأخير و المعنون "فينومينولوجيا مختلفة" فينهي ألفون غريدر في آخر المطاف إلى توضيح صراع بين الفينومينولوجيا البشلارية و الفينومينولوجيا الهيجلية بدون البحث عن إعطاء إمتحان تاريخي دقيق لعلاقة باشلار مع الحركات الفينومينولوجية في مجملها . " فيما يتعلق بالفينومينولوجيا الهوسرلية . إثنان من مظاهرها إستفاد منهما باشلار الأداة المنهجية للوضع بين قوسين من إدعاء الموقف الطبيعي و كذا المحاولة الهوسرلية التي تكشف نوعية الأفعال و نوعية المكونات الخاصة بالوعي و التي من خلالها الواقعية الموضوعية تتقوم بالنسبة لنا"(3) من جهة أخرى ستتضح القيمة الإيبستمولوجية للرد الفينومينولوجي ولكن من وجهة نظر غاسطون باشلار " باشلار يكتب بأن "واقعية الحدس الأولي يجب عليها أن توضع بين قوسين " في سؤال "من سيضعها بين قوسين و لماذا؟ " نستطيع الإجابة بأنه حسب باشلار العالم كالفيلسوف هما من يضعان بين قوسين لكي نتجنب السقوط أو ننخدع بالحدوس الأولية للواقعية الساذجة و التجربة العامة و التي يعتبرها باشلار عائق في التطور العلمي و التأويل الفلسفي"(4) بطريقة أخرى ما يريد باشلار أن يضعه بين قوسين لا يمس إلا جزء معين مما يمسه الإيبوخي الهوسرلي ،حسب هوسرل إدعاءات العلوم التجريبية في مجملها و حتى العلوم الرياضية المحضة يجب عليها أن توضع بين

قوسين. الكل لكي يرى و يصف الذاتية المتعالية الأولية ، و هذا هو ما رفضه باشلار لعدة أسباب .

"للبدء لا يعتقد بأن هناك أشياء كتحقيق فلسفي مشروع و الذي يكون خارجا و مستقلا عن العلم لأنه بمساعدتهم تم إرساء معايير العقلانية . العلم خلق من الفلسفة بنفس الطريقة باشلار لا يعتقد أبدا بأن فيلسوف العلم يستطيع تجاوز السيكولوجيا أو إهمالها معتقدا أن الإطاحة بالسيكولوجيا هي عائق بدلا من مساعد للفلسفة ، من جهة أخرى ركائز الفينومينولوجيا المتعالية حول المكونات غير المتعددة للوعي المحض و التي هي إحدى الأهداف الأكثر شهرة في صراعها و التي ركز عليها باشلار"(5).فمحاولة هوسرل خاصة هوسرل الأول كانت محاولة تسعى لإلغاء السيكولوجيا وتحدد بالمقابل البنية الماهوية للوعي في أقصى إختصاراته

في هذا الظرف "برنارد بارزوتي" (Bernard Barzotti) يأتي ليهز قناعاتنا، ويوضح بأنه منذ "الفكر العلمي الجديد" (1934) إلى "جماليات المكان" (1957) باشلار طوّر تفكيره في حوار من الشدّة المتنامية، مع الفينومينولوجيا الهوسرلية. " هذه الأطروحة ستبدو غريبة في اللحظة الأولى لأنه كما نعلم وبدون شك أن باشلار رفض مفهوم(الفينومينوتقنية)(*) أو الفينومينولوجيا المنبعثة تقنيا من النظرية الفيزيائية إلى الفينومينولوجيا الفلسفية الهوسرلية .لكن قبل التحقيق المثوثق جيدا من قبل برنارد بارزوتي فان النتيجة من هذا التحقيق أنه ليس عبثا أو من الصدفة أن يعود باشلار إلى هوسرل وإنما عمدا من خلال الإستعمال المتكرر للعبارات التي لا يمكن أن توجد إلا عند هوسرل أو من خلال عرضه لفلسفته وهي عودة منهجية لتطبيق وبناء مفهوم الفينومينولوجيا العلمية " phénoménologie scientifique"(6).

برنارد بارزوتي لا يكتفي بالتوّجه إلى الحوادث الإصطلاحية وقام بتطوير تفسير جديد واضح وشجاع للعلاقة ذات المعنى الموّحد بين هوسرل وغاسطون باشلار، "لأنّ باشلار لأسباب زمنية واضحة شعر بالحاجة إلى أن يتموقع في علاقة مع هوسرل، الفلسفتان (فلسفة غاسطون باشلار وفلسفة هوسرل) تشارك في نفس المبدأ؛ رفض كلّ تأكيد ميتافيزيقي، لكن وراء هذا القرار المشترك والمبدأ الموّحد باشلار يسعى دائما لمحاولة الإنفصال عن الفينومينولوجيا الهوسرلية وذلك من خلال الخروج عن الميتولوجيا الأولية (Primitif) أو القبلية والتي حسب باشلار هي تضمّ الفينومينولوجيا بقوة، وفي نفس الوقت ضدّ هوسرل فيما يتعلق بالعقلانية العلمية"(7)، كان يحاول باشلار بقوة للمحافظة على حقوق التحليل السيكولوجي، برنارد بارزوتي يتكلم في هذا

الجانب على السيكولوجيا الإبستيمولوجية المعدلة لبشلار. الإبستيمولوجيا الفرنسية تطالب بفلسفة مشتتة، التي لا تترك مكانا لأيّة وحدة للفكر. برنارد بارزوتي حدّد بدقة مثالية الجبال الموجودة في المحيط الباشلاري التي تشهد الإنفصال بين الإبستيمولوجيا والفينومينولوجيا في فكر القرن العشرين.

الرسالة الحقيقية المستخرجة من هذا الكتاب بالرغم من الحدود الجغرافية غير المحدودة لفلسفة باشلار. إذا كان العنوان هو باشلار ينتفد هوسرل فإن فيه تفكيك ذكي لنقد الإبستيمولوجيا البشلارية من خلال الآلة المفاهيمية البشلارية التي يطبقها برنارد باغزوتي لتبني نفسها(الإبستيمولوجيا البشلارية) في صورة معكوسة للفينومينولوجيا الهوسرلية . الإبستيمولوجيا البشلارية تنفد إلى أعماقها وتكشف تناقضاتها .ما نريد الإشارة إليه هو كيف يستطيع الفيلسوف ذاته أن يؤكد على عالمية التحول الجهوي الذي يميز الرياضيات l'universalité transrégionale des mathématiques (منبع كل العقلانية العلمية) ويشجع الظهور التجريبي الجهوي والمشتت .السؤال يستحق في الواقع أن يطرح (8) من خلال تردده (برنارد بارزوتي) الدقيق و الذكي بين هوسرل وباشلار يصل في الأخير ليضعهما في نفس المنظور.ويوضح جون غايون بأنه إلى هوسرل يعود الإستحقاق الفلسفي للتناسق الكبير ،بين الفينومينولوجيا الفلسفية والعقلانية العلمية خاصة في الإنفصال الذي حدث في الإبستيمولوجيا بعد هوسرل " العمق بصفة عامة في هذا النقاش هو في الحقيقة معرفة إذا كانت الفلسفة الترنسندنتالية حقيقة قادرة على إستيعاب العمليات التجريبية للعلم "(9).

"إن نقد باشلار لهوسرل لم يبرز أبدا على مستوى الإشكاليات الفلسفية العميقة التي تطبقها الفينومينولوجيا ، إعتراضاته تدور أساسا حول مظهر واحد بارتباط سطحي لأن الأساس مربوط بالحدس و الرؤية و التصور لما هو محسوس وملاحظ و متصور بإختصار في البعد الأكثر سلبي و استقبالي (Passive receptive) للوعي"(10)، بهذا البعد الذي يهمل و الذي لا يستطيع الوصول إليه الوعي العقلاني المتأمل و هي ميزات العلم المعاصر و بذلك جدليته و ميله التركيبي و نشاطاته المادية ، "أنا لست أحاول تطوير هذه الإنتقادات . هنا نستطيع بكل بساطة أن نشير إلى أن هوسرل الأخير فيما أعتقد في "الأزمة " و "أصل الهندسة" إنطلق في منظور وافق عليه باشلار تحت ضربة تأهيلات (chosisme) إزدرائية عند باشلار في النهاية لدي انطباع بأن كتابات هوسرل ربما في نهاية سنوات 1930 و لكن بالتدقيق في سنوات 1940 ، 1950،

إقترحوا على باشلار نوع من (Frenziel)الخليط الفينومينولوجي ، فينومينولوجيا بديلة مادية (matérialiste) "(11) الإشارة التي يريد أن يشير إليها "ألفون غريردر" هي أن غاسطون باشلار و هوسرل يجتمعان في خانة واحدة ولكنهما يفترقان في الأخير ليؤسس غاسطون باشلار الفينومينولوجيا البديلة بهذا المعنى الذي يعطيه اللفظ والتي مواضيعها الأساسية النشاط العلمي "لكي ننتهي فينومينولوجيا باشلار ليست هي الفينومينولوجيا بطريقة هيجل و لا الفينومينولوجيا بطريقة هوسرل و لا نستطيع أن نتذوق بلباقة الحدود المميزة لها إذا لم تعتبرها كمحاولة تضع الفلسفة في مرحلة تطور العلم المعاصر و هو ما يعتبره غاستون باشلار كأشكال جديدة لعقلانية جديدة "(12).

في كتابه الفكر العلمي الجديد يستهدف فلسفيا إدراك الفكر العلمي المعاصر في جدله ، و من ثم إظهار جدته الأساسية ، و لفت الإنتباه إلى أن وحدة العلم التي يذكرها الذاكرون في أغلب الأوقات لا تطابق البتة حالا ساكنة مستقرة ، و أن من الخطر تماما أن نفترض وجود إبستمولوجيا موحدة" و لو علمنا و نحن في صدد سيكولوجية الفكر العلمي ، كيف نقف تماما على تخوم المعرفة العلمية ، لرأينا كيف إنصرف العلم المعاصر إلى تركيب حقيقي يضم المتناقضات الميتافيزيائية و يؤلف بينهما، و لكن منحى الإتجاه الإبستيمولوجي يبدو لنا على الرغم من ذلك بينا جدا إنه يتجه بالتأكيد من العقلي إلى الواقعي، و لا يمضي البتة على العكس من الواقع إلى العام كما حسب جميع الفلاسفة من أرسطو إلى بيكون "(13). كان الفيلسوف والإبستيمولوجي والناقد الأدبي غاستون باشلار أحد أولئك الذين عاشوا الثورة العلمية التي أحدثتها نظرية النسبية في الفيزياء، وبالتالي جاءت أعماله الإبستيمولوجية كاستجابة للتصورات العلمية التي "ألغات قاعدة التأثير عن بعد ، و وحدت بين الكتلة و الطاقة ، و إستبعدت الأثير ، و ألغت المفهوم اللاهوتي المطلق للزمان و المكان" أيطرح هذا الجدل الذي تدعونا إليه الظاهرة العلمية مسألة ميتافيزيائية على الفكر التركيبي؟ لقد أعجزتنا الإجابة الواضحة على مثل هذا السؤال ، و قد أشرنا بالطبع في جميع المسائل المتنازعة إلى الشروط التركيبية حيثما بدا لنا من الجائز إقامة توفيق تجريبي أو توفيق نظري ، و لكن هذا التوفيق قد ظهر لنا دائما من حيث أنه توفيق نظري ، على أن هذا التوفيق –و تلك نقطة أساسية في نظرنا- لا يبدد الثنائية المنقوشة في تاريخ العلم و في النمو التربوي في الفكر ذاته"(14).

"كرر الباحثون غالبا في أثر وليم جيمس (William James) القول بأن لكل إنسان مثقف بالضرورة ميتافيزيقا ، ويبدو لنا أن من الأدق أن نقول أن كل إنسان

يجهد للتحلي بثقافة علمية يستند لا إلى ميتافيزياء ، بل إلى نوعين من الميتافيزياء ، وإن هذين النوعين الميتافيزيائيين الطبيعيين المضمرين الراسخين المقنعين هما متناقضان ، و لكي نسرع بتسميتهما تسمية موقوتة ، نبادر إلى الإشارة لهذين الموقفين الفلسفيين الأساسيين اللذين يرتبطان بهدوء في الفكر العلمي الحديث بالمصطلحين المعروفين في الفلسفة المدرسية باسم المذهب العقلي والمذهب الواقعي"(15).

لقد تشكلت أزمة العقلانية العلمية المعاصرة من وجود تفاوت بين الفلسفة والعلم ومن هوة بين العقلانية الصورية والعقلانية التجريبية وتباعد منهجي بين منظومة الغايات ومنظومة الوسائل. "وسينجم عن ذلك أننا سنقترح نوعا من الدراسة التربوية اللازدواجية، وذلك لنمنح الفكر العلمي المرونة الضرورية لفهم مذاهب جديدة، ولذا يبدوا لنا أن من الواجب إدخال مبادئ إبستيمولوجية جديدة حقا على الفلسفة العلمية المعاصرة"(16).

لقد تفطن غاستون باشلار إلى هذه الأزمة التي أصابت المدونة العلمية المعاصرة وتحسس صعوبة تشخيص العلل والتعرف على الأسباب وإنتبه إلى تعثر محاولات الخروج من هذه المضيقات بالتعويل على إتجاه إبستيمولوجي دون آخر وبالإنحياز إلى مذهب فكري دون غيره " و على هذا ينبغي على الإبستيمولوجي أن يشرح تركيب العقل و التجربة تركيبا متحركا إلى حد ما ، حتى عندما يبدوا هذا التركيب من الناحية الفلسفية معضلة لا سبيل إلى حلها"(17).

الظاهر إذن أن غاسطون باشلار بالرغم من كل شيئ وبالرغم من تخليه نوعا ما عن الميتافيزيقا بقي يخضع ويقر بالجدل التركيبي بين الميتافيزيقا و التجربة والظاهر أيضا أن ما أشار إليه هوسرل في الفينومينولوجيا في المرحلة المتأخرة في الأزمة و من خلال العودة إلى العالم المعيش(**) هو نفس الجدل التركيبي بين العقلانية الصورية والعقلانية التجريبية وتظهر بشكل واضح العقلانية الصورية في الفينومينولوجيا في المراحل المتقدمة "إن تصور العلم الذي يبدأ منه هوسرل هو تصور أفلاطون وديكارت و النزعة العقلية في القرن السابع عشر عامة للعلم وهذا التصور الذي يتوجه نحو الأسس الأولى و المعا يير اللامشروطة يختلف من حيث الأساس عن التصور الحديث عموما للعلم.فالعلم بالمعنى الأفلاطوني هو العلم المطلق ’ويتميز أساسا بأنه حدس للماهيات .وعند هوسرل إن الظاهريات تقوم على حدس الماهيات"(18) لذلك فهوسرل إختزل الذاتية ضمن وضع منطقي محض أي تحديد منزلة الأنا من العلم كمبدأ نسقي تشتق من البنية الصورية لنسق العلم أي من التماسك البرهاني للقضايا بحسب

المعنى الذي حدده ديكارت للنظام أصلا من دون أن تحوز الذاتية مضمونا متعاليا أي مبدئية من جنس غير الجنس الإستنتاجي للنظر العلمي و إنما من الحركية الأنطولوجية للذاتية المتعالية و لمضمون العلم الذي تنشطه و تهيمن عليه هيمنة تامة ....." فضلا عن ذلك إن البحث الظاهراتي على قدر مايكون بحثا ماهويا و بالتالي بحثا قبليا بالمعنى الأصيل للكلمة فانه يأخذ في حسبانه كل البواعث المبررة للنزعة القبلية و على أي حال فالمرجو أن يوضح نقدنا أن التعرف على المذهب الطبيعي على أنه فلسفة خاطئة أساسا لا يعني بعد التخلي عن الفكرة القائلة بإقامة فلسفة علمية دقيقة أي فلسفة تقوم من الأسفل .إن الفصل النقدي بين المناهج النفسية و الظاهراتية يبين أن المناهج الأخيرة هي الطريق الحق المؤدي إلى إقامة نظرية علمية في العقل وبالمثال إلى إقامة علم نفس كاف"(19) ولا تكتمل هذه النظرية العلمية في العقل حسب هوسرل إلا من خلال التأسيس المنهجي للنقد وهو مايحكم الفينومينولوجيا من البداية إلى النهاية "ومع ذلك فإذا كنا بتحديدنا لمعنى عصرنا نتوجه نحو هذا الهدف العظيم فلابد أيضا أن نوضح لأنفسنا أننا نستطيع تحقيقه على نحو واحد أعني أننا إذا كنا نقبل بالنزعة الجذرية المتعلقة بماهية العلم الفلسفي الحقيقي لا نقبل شيئ معطى مقدما و لا ندع شيئا تقليديا يمر على أنه بداية ولا أن ننبهر نحن أنفسنا بأية أسماء مهما تكن عظيمة فإننا بالأحرى نحاول الوصول إلى البدايات مستسلمين إراديا للمشكلات ذاتها وللمقتضيات التي تنشا عنها"(20).

يمكننا هذا المخطط النقدي المعقد من تبيين الصورة الفينومينولوجية العامة للمضمون النقدي للفلسفة ، ذلك أنه من الواضح أن النقد الفلسفي هو أيضا على قدر ما يتعين عليه بالفعل هو طلب الصحة –فلسفة و أن معناه يتضمن الإمكانية المثالية لقيام فلسفة منهجية غير أن ما يلفت الإنتباه فيما رسمته فاتحة كتاب المنطق أمران جوهريان: " أولهما أن معقولية النقد قائمة على إستباقات للفهم يتكون التفكير لديها بضرب من معاودة المسار القصدي للوعي و تحويل البداهات العامة إلى مضامين "بديهية" تقبل التكرير ، ثم فسخ الأحكام المسبقة غير المطابقة لما يطلب في مقتضيات القصد وملئه ، ثانيهما أن هذا الرسم النظري للنقد يفترض أن المنظور الذي تناقش من خلاله البداهات المتداولة و تختبر لديه متانة الأساس اللازم للعلم هو منظور معياري أصلا يرسم ما بين الأصالة و اللاأصالة حدودا هي المعاني الداخلة في معنى المعقولية. "(21).

و لابد أن نشير أيضا أن النقد في الفينومينولوجيا لا يتم إلا في مجالات الإيبوخي والرد فالوعي لا تكشف ماهيته التفكرية-المتعالية بضرب من الترسب الذي يحصل بالأحجام عن الوجود، و إنما بالإمساك عن الأفعال التلقائية للأنا بما هي إمتداد لوجوده الطبيعي داخل العالم، "فالإيبوخي الفينومونولوجي ليس سلبا بل هو الإجراء الذي تغنم به الذاتية المتأملة ما بهت تقوم حياتها الخالصة و كذا معيشاتها وموضوعاتها القصدية وجملة الظواهر الداخلة في نطاق الوجود الذي يخصها، وبالجملة فإثبات الذاتية غير مقتض لسلب العالم بل هو سلب للإعتقاد الأنطولوجي، أي للثقة في العالم و إعتباره ظاهرة بالنسبة للوعي"(22) .

لذا فما يهم الفيلسوف هو الإبتداء بالأشياء عينا لا بما هي محصلة من عمل تأويلي متقدم على النظر العلمي . إن تجذير المعقولية المتعالية على النحو الذي إنتهى لديه نقد المفترضات الميتافيزيقية لديكارت يبين أن العلم ليس إكتفاء ببداهة "الأنا موجود" مهما كانت قطعية و ثابتة ، بل هو يمتد نحو إستقصاء "البنية الكلية والقطيعة لتجربة الأنا" "لذلك فالنقد الذي يمارسه هوسرل في فلسفته المتأخرة سواء إختص بالعقل المنطقي في المنطق الصوري و المنطق المتعالي أو بالعقل الموضوعي في الأزمة يستند إلى الإجراءات التي تمكنت منها الفينومينولوجيا المتعالية بما هي النسق الكلي ل "نقد العقل" و هي المهمة التي إنتهى هوسرل إلى تعيينها للفلسفة في السفر الأول الذي قدم به للفينومينولوجيا الخالصة (1913) ينتهي النقد في هذه المرحلة إلى إستيفاء إمكانات العقل التقليدي"(23) يدور الأمر بالجملة على نبذ الأشكال غير الفلسفية، أي غير النقدية للتأسيس الفلسفي من حيث تجدد الإعتقاد في العالم كأفق قبلي للمعني . " لذا كان العلم بحسب هذا التصور مشتقا من البنية الطبيعية للتفكير التي تجعل المعرفة إمتدادا تلقائيا للعالم ، في حين أن المقصود بالعلم أصلا موقف متقوم بذاته على نحو أصلي ومطلق أي قائم على تقوم إجراءات الذاتية للمعنى الذي يعتمل مقاصد العقل العلمي عموما . فالبنية المتعالية للتأسيس تبقى لدى هوسرل مستوى أصليا تتولد لديه إمكانية التفكير من حيث هو إنثناء للفكر على ذاته أي "تدبير""(24).

إن الإستنتاج الذي يمكن أن نستخلصه مما سبق وبالخصوص من المقالة التي أشار إليها "ألفون غريردر" «غاسطون باشلار فينومينولوجي العلم المعاصرة » إلى أن هوسرل كان يقع تحت تأثير الفيزياء الكلاسيكية(غاليلي،نيوتن)وبالمقابل مادام "ألفون

غريردر"عنون مقاله ب «غاسطون باشلار فينومينولوجي العلم المعاصر» فانه كان يقصد بالقابل أن فينومينولوجي العلم الكلاسيكي هو هوسرل.

وبغض النظر عن الحمولة الميتافيزيقية الموجودة في الفينومينولوجيا أو عند باشلار ،فإن الخيط الإبستيمولوجي الذي يستطيع أن يوحد هوسرل مع باشلار وكذلك مع كارل بوبر* هو البعد النقدي ،حيث أسس هوسرل لمفهوم الرد الفينومينولوجي وأسس غاسطون باشلار لفلسفة الرفض ليؤسس كارل بوبر مبدأ القابلية للتكذيب وهي في مجملها تحمل مصطلحات جديدة للنقد "النقد العقلي يوضح لنا كيف أن نظرية ما أقرب للصدق من نظرية أخرى ، و يوضح لنا لم تكون نظرية ما أفضل من نظرية أخرى ، و غياب النقد العقلي يؤدي إلي أن تصبح خطة العلم مدمرة تماما ، لأن غياب النقد العقلي في هذه الحالة يعني أن النظريات يمكن أن يوضح كذبها فقط، لكنها لا تشير إلى إسهام إيجابي في إطار العلم . و هنا أيضا يبدو (النقد العقلي)على أنه مسألة (قرار) ميثودولوجي كما سبق أن أشار بوبر إلى هذا"(25) أما فيما يتعلق بمسألة الميتافيزيقا فإن كارل بوبر يشير إلى الأهمية القصوى التي تفيد بها" فكأن الآراء و الأفكار الميتافيزيقية، وإن شئت القضايا الميتافيزيقية تسهم أحيانا في إنطلاق الأفكار العلمية، وبلورة الخيال العلمي بصورة تؤدي إلى صدور نظرية علمية أصيلة لكن هذا لا يفرض علينا أن ننظر للميتافيزيقا كعلم لأن قضاياها في هذه الحالة لن تناظر أي واقعة موجودة في العالم الخارجي"(26). يعد كارل بوبر من الفلاسفة اللذين رفضوا التيار الوضعي المنطقي أو ما يعرف "بالتجريبية المنطقية" في التطوير التاريخي للعلم الواقعي أو الطبيعي وذلك من خلال إستبعاد الميتافيزيقا عن طريق معيار التحقق. ، بيد أن هذا المعيار قد أفضى إلى طريق مسدود لأنه أدى إلى إستبعاد العلم الإمبريقي نفسه والدليل على ذلك أن بوبر في تصديره للطبعة الانجليزية لمنطق الكشف العلمي يصر "على أنه من الحقائق المسلم بها أن الأفكار الميتافيزيقية البحثة ومن ثم الأفكار الفلسفية ذات أهمية قصوى للكوزمولوجيا فمن طاليس إلى اينشتاين ومن الذرية القديمة إلى تأملات ديكارت عن المادة ومن تأملات جلبرت ونيوتن وليبنتز وبسكوفيك عن القوى إلى تأملات فارادي و اينشتين عن مجالات القوى أضاءت الأفكار الميتافيزيقية معالم الطريق "(27) وهنا بدأت فكرة التأسيس لإتجاهات جديدة في فلسفة العلم هي إتجاهات ما بعد الوضعية المنطقية والتي من مؤسسيها أعلام كبار على غرار"توماس كون" إمري لاكاتوس" وباول فيرابيد" والذين يعتبرون من أبرز فلاسفة العلم الطبيعي في العقد

الأخير من القرن العشرين نجد "كارل بوبر " ذو النزعة العقلانية وصاحب فكرة "مبدأ القابلية للتكذيب" .

والواقع أن بوبر حين يتحدث عن العلم كنظرية من خلال كتابته يتناول بالتحليل مشكلاته في صورة تساؤلات و آراء قد لا يعتقد بها القارئ . على سبيل المثال مشكلة الإستقراء _ التي أشرنا إلى أنها أول حديث لبوبر في (المعرفة الموضوعية) ، و هي كذلك في (منطق الكشف العلمي) _هذه المشكلة في رأي بوبر لتوضح وضحا صحيحا ، يجب علينا أن نميز أولا بين العلم Science واللا _علم Non_science ثم نميز منطق المعرفة logical knowledge من سيكولوجية المعرفة ،هذا من جهة ثانية .كما يبدو من الضروري طالما نحن في ميدان العلم أن نستبعد الذاتية التي قد تفسد على العلم موضوعيته ،هذا من جانب ثالث وأخير لابد من إتخاذ قرار في المشكلة وهو ما يعرف عند بوبر "القرارات المنهجية".و هكذا قد نكون قد بدأنا بتحديد المشكلة ،وحصرها في أضيق نطاق ممكن من التساؤلات ،ثم انتهينا بقرار منهجي حولها يحدد أهميتها في السياق العلمي، ويلقي الضوء عليها بصورة كافية تمكن القارئ من الإلمام بجوانبها المختلفة(28).

إعتبر هوسرل في أعماله المتأخرة أن تمييز الإبستيمي (***) لذاته عن الدوكسا(****) هو الإنجاز المؤسس للفلسفة، هو تأسيسها الأصلي كما يقول. والآن يريد للفينومينولوجية الترنسندنتالية أن تجدد المعنى الأصلي لذلك التأسيس تجديدا يقوم بتوجيه المستقبل إن الفينومينولوجيا كعلم ، كإبستيمي له طابع نقدي جذري إزاء المعرفة المؤقتة، التي لا يمكنها أن تحقق طموح هوسرل إلى أن تكون بحثا خاليا من الأحكام المسبقة وغير متحيز، إلا إذا تحررت من كل أنواع الإنحصار في عوالم خاصة. لكي تكون منفتحة لما يظهر عموما دون تحيز، يجب أن تتخطى كل الآفاق الجزئية للعوالم الخاصة باتجاه سياق الإحالة الذي تنتمي إليه هذه الآفاق الجزئية كلها: العالم الواحد كأفق شامل.

الهوامش:

[1] - Grieder Alfons , Gaston Bachelard , phénoménologue de la science moderne , p01

[2] - ibid,p02

[3] - ibid, p14

[4] - ibid, p14

[5] - ibid, p15

* الفينومينوتقنية او الفينومينولوجيا التقنية التي بقيت متاثرة بالنظرية الفيزيائية.

[6] -Bernard Barzotti :Bachelard critique de husserl aux racines de la fracture épistémologie/phénoménologie, préface de Jan Gayon, l'Harmohan, 2002.p08,09

[7] -ibid,p09

[8] -ibid, p10

[9]- ibid,p108

[10] - Grieder Alfons , Gaston Bachelard , phénoménologue de la science moderne , p15

11 - ibid, p15

[12] - ibid, p15

[13]- غاستون باشلار ،الفكر العلمي الجديد،ترجمة عادل العوا،تقديم جيلالي اليابس،موفم للنشر والتوزيع،ط2 ،1994 ص04

[14]- المصدر نفسه ، ص 16-17

[15]- المصدر نفسه ،ص01

[16]- المصدر نفسه ، ص17

[17]- المصدر نفسه ،ص18

*-لا يستعمل هوسرل مفهوم "التجربة" بالمعنى التجريبي أو بالمعنى الوضعي. التجربة عنده أساسا هي "المعيش" الذي يتمتع بوجود "قبل-علمي". لهذا فغالبا ما توضع "التجربة" في تعارض مع "العالم الموضوعي" الذي هو بالتحديد عالم التقنية والعلم. وبفعل هذا التعارض فإن عالم التجربة نسبي وغير دقيق. الأول مباشر ووليد الإدراكات الذاتية؛ أما الثاني فهو غير مباشر لأنه نتاج لبناءات نظرية-مثالية.

[18]-محمود رجب،هوسرل : الفلسفة باعتبارها علما صارما ، المشروع القومي للترجمة ،القاهرة ص 6

[19]- المصدر نفسه ، ص76

[20]- المصدر نفسه، ص103

[21]- فتحي أنقزو، هوسرل واستئناف الميتافيزيقا . دار الجنوب2002 ص121

[22]- المرجع نفسه ، ص 112

[23]- المرجع نفسه، ، ص 120

24- المرجع نفسه ، ص 120

**-تعتبر فلسفة كارل ريموند بوبر1902-1994، K.R.POPPEr ثورة في فلسفة العلوم لأنها عدّت بحق تحولا جذريا في الأبحاث الإبستيمولوجية المعاصرة حيث اتسمت فلسفته بعقلانية متفتحة استطاع من خلالها استيعاب نتائج العلم المعاصر، والتي عكست بدورها الطبيعة الحيوية لنشوء وبروز وأفول النظريات العلمية

[25]- ماهرعبد القادر محمد علي، فلسفة العلوم،المشكلات المعرفية،الجزئ الثاني،دار النهضة العربيةبيروت،،1984ص53

[26]- المرجع نفسه ، ص 36

[27]-المرجع نفسه ،ص35-36

[28]- المرجع نفسه ،ص32

***-الدوكسا: تتمثل الخاصية الأساسية للدوكسا، للرأي أو الظن، من وجهة نظر الإبستيمي، العلم، في أنها تبقى مقيدة في مواقف وحيدة الجانب

****-الإبستيمي: كانت الفلسفة والعلم عند بدايتهما ، شيئا واحدا. ابتدأ التفكير الفلسفي-العلمي مع اكتشافه للعالم الواحد متخذا بذلك اتجاها مضادا لمحدودية الدوكسا. هكذا أصبح الكل بإطلاق لأول مرة مدار اهتمام صريح، كما اتخذ لأول مرة مع لفظ الكوسموس إسما

قائمة المصادر:

-هوسرل : الفلسفة باعتبارها علما دقيقا ،ترجمة محمود رجب، المشروع القومي للترجمة ،القاهرة2009

-غاستون باشلار: فلسفة الرفض ، ترجمة خليل أحمد خليل ، المؤسسة الجامعية للد ا رسات والنشر ، بيروت ، لبنان ١٩٨٥

-غاستون باشلار :الفكر العلمي الجديد، ترجمة عادل العوا، تقديم جيلالي اليابس، موفم للنشر والتوزيع ،ط2 ،1994 .

قائمة المراجع:

- فتحي أنغزو، هوسرل و إ ستئناف الميتافيزيقا ، دار الجنوب2002 .

- ماهر عبد القادر محمد علي: فلسفة العلوم ،المشكلات المعرفية، الجزئ الثاني، دار النهضة العربية بيروت،1984

Les références

- Grieder Alfons : Gaston Bachelard , phénoménologue de la science moderne , traduction français par julien de 1 à 18 ,journal of the british society for phénomènologie , vol 17 , N°2,May 1986, une version abrégée de ce texte à été lu au collogue Gaston Bachelard de l'institue français de londrès le 19 mai 1984p14.

- Bernard Barzotti :Bachelard critique de husserl aux racines de la fracture épistémologie/ phénoménologie , préface de Jan Gayon, l'Harmohan, 2002